ورؤية الولايات المتحدة الى العالم في اطاره، وسبل ادارة هذا الصراع. والأفكار الواردة فيه ما زالت قيد التشغيل في السياسة الخارجية الأميركية؛ ومن هنا تأتي أهمية عرض الكتاب، بالرغم من الزمن الذي مضى على تاريخ نشره لأول مرة.

حرب عالمية ثالثة

يسيطر على صفحات الكتاب جوّ حرب قائمة، يسمّيها الكاتب «الحرب العالمية الثالثة». وقال انها بدأت «قبل أن تنتهي الحرب العالمية الثانية» (ص ٢٤). واوضح بدايتها بـ «سيطرة السوفيات على أوروبا الشرقية، ومن طريق الاحتلال الشيوعي للصين، والحروب في كوريا والهند الصينية، وكذلك من طريق اقامة مخفر سوفياتي أمامي في نصف الكرة الغربي، في كوبا، ووصولاً الى اندفاعات السوفيات وحلفائهم داخل افريقيا، والهلال الاسلامي، وأميركا الوسطى... من هنا كان بوسعنا أن نعتبر الحرب العالمية الثالثة هي الحرب الكونية الفعلية الأولى؛ فليست هناك من نقطة على وجه الكرة الأرضية خارج نطاق مسرحها» (ص ٢٦ ـ ٢٧). وحدّد أهداف الاتحاد السوفياتي في هذه الحرب بثلاثة مستويات؛ اذ «أن الهدف النهائي للاتحاد السوفياتي، في الحرب العالمية الثالثة، هو المنافس الرئيس، أي الولايات المتحدة الأميركية؛ وأهدافه المتوسطة هي أوروبا الغربية واليابان؛ أمّا أهدافه الفورية، فهي تلك المناطق غير المستقرة والسهلة المنال في افريقيا وآسيا والشرق الأوسط واميركا اللاتينية؛ تلك المناطق التي يمكن فيها، بقليل من الخطر والكلفة نسبياً، أن يحقق مزايا استراتيجية، ويتخذ لنفسه، بشكل متزايد، موقعاً يسيطر فيه على موارد العالم وشرايين الحياة» (ص ٣٢). ونقل عن الرئيس الصومالي، محمد سياد بري، أن الرئيس السوفياتي الاسبق، ليونيد بريجينيف، أباح لبري: «ان غايتنا هي تحقيق السيطرة على خزانين زاخرين بالمواد الثمينة يعتمد عليها الغرب؛ خزان الطاقة في الخليج العربي وخزان المعادن في وسط افريقيا وجنوبها» (الصفحة ذاتها). ورأى ان «اعتماد البلدان الصناعية الغربية على المصادر الأجنبية للمواد الخام الحيوية هو احدى نقاط ضعفها الرئيسة» (ص ٣٣). واوضح انه في الوقت «الذي تعتمد الولايات المتحدة بصورة جزئية على استيراد النفط والمعادن الاستراتيجية، تعتمد أوروبا واليابان، اعتماداً مطلقاً، على موارد ما وراء البحار؛ فنصف نفطنا مستورد؛ أمّا أوروبا، فخمس وثمانون بالمئة من نفطها مستورد؛ واليابان مئة بالمئة؛ أما في ما يتعلق بالمعادن، فان أوروبا تستورد ٨٠ بالمئة، واليابان ٩٥ بالمئة... ومن هنا كان الكثير من الحق لديهم أن يهتموا بالتحرك السوفياتي نحو الخزانين الكبيرين اللذين يعتمد عليهما الغرب. بيد اننا نحن، من جانبنا، لنا مصلحة حيوية، وذلك لأمرين: أولهما، لأننا نحن، أيضاً، نعتمد على خزانات المواد الاستراتيجية ايّاها، وثانيهما، لأن قوة ووحدة الحلف الغربي أمران جوهريان لمواجهة التحدي السوفياتي» (الصفحة ذاتها)؛ هذا التحدي الذي يهدف ـ حسب الكاتب ـ الى «تطويق 'مدنية' العالم، وحرمان العالم الغربي الصناعي من الموارد التي لا يستطيع البقاء بدونها» (ص ٤١). ورأى «أن الامبريالية السوفياتية الجديدة، تتطلب وجود قوة مضادة تضعها تحت المراقبة، وليس بمقدور الولايات المتحدة أن تقوم بذلك لوحدها، وانما بدون قيادة قوية وفعّالة تتولاها الولايات المتحدة، فان القيام بذلك لن يتم اطلاقاً. انه لم يعد بوسعنا أن نركن الى المزيد من التأرجح واكثار الكلام؛ فامّا نتصرف كقوة عظمى، او سنتدنّى لمستوى قوة صغرى؛ ولن يكون ثمة بقاء لنا، اذا ما انحدرنا الى ذلك المستوى؛ كما انه لن يكون ثمة بقاء للحرية والقيَم الغربية» (ص ٤ ـ ٥)؛ وهذه الحرب هي الحرب الاولى التي تشنّ «على كافة مستويات الحياة والمجتمع، أي على مستوى القدرة العسكرية والقدرة الاقتصادية وقدرة الارادة وقوة الافكار المحتواة للأمة، وعلى حسن حسّها بالهدف، لأن جميع هذه الأمور عوامل حيوية بالنسبة لنتيجة الحرب... [و] هذه الحرب، أيضاً، أول حرب شاملة، بسبب طبيعة خصومنا؛ ذلك أن هناك نظاماً ديكتاتورياً يتقدّم في ظل راية أيديولوجية» (ص ٢٧ ـ ٢٨). وعلى ذلك، فان «المبارزة بين الولايات المتحدة والسوفيات صراع بين قطبين متنافرين للتجربة البشرية... فنظامهم بحدّ السيف، ونظامنا تحكمه الروح؛ ونفوذهم انتشر بالاحتلال، أمّا نظامنا، فقد انتشر باعطاء المثل؛ وليس ذلك الصراع بجديد، فهو لم يبدأ بانتهاء الحرب العالمية الثانية، أو بقيام الثورة الشيوعية، انه صراع قديم قدم المدنية ذاتها... انه صراع قديم قدم نزعة حكّام الى فرض العبودية، واستماتة شعب للتخلّص منها» (ص ٣٢٩). واختصر الكاتب الصراع بين الحرية